

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

موضوع الدراسة وأهدافه ومنهجه ومراجعته ومصادره لم يحظ شاعر بالاهتمام قديماً وحديثاً مثلما حظى المتنبي. ولم يقتصر الاهتمام به على الدائرة العربية وحدها ، وإنما تجاوزها وتعداها إلى المستشرقين في كافة أنحاء أوروبا وبخاصة : بلاشير وكراشوفسكى وجبريلى وغيرهم . وقد اعتاد الباحثون والدارسون أن يضمنوا مقدماتهم عرضاً للمصاعب التى تلقاهم أثناء بحثهم والتى يتمثل أبرزها فى ندرة المصادر والمراجع أو قلتها . ولكن الأمر بالنسبة للمتنبي يختلف ، فتتبع ذلك العدد الهائل من الدارسين لشعره – سواء له أو عليه – يمثل عبئاً ثقيلاً لمن يتصدى لمعالجة شأن من شئونه ، خاصة أنها تعد بالمئات .

والملاحظة الجديرة بالانتباه والتسجيل هى أن كل تلك الدراسات أهملت دونها عمد جانباً مهماً من جوانب شموخ هذه الشخصية ، ونعنى بها ثقافته ... ثقافته بوصفها دراسة قائمة بذاتها . حقاً أن غالبية – إن لم يكن كل هذه الدراسات قد لمست هذا الجانب على وجه من الوجوه ، إلا أنها لمست كمعبر للوصول إلى غايتها ، ومن ثم جاءت أى ثقافته – كجزئية غائمة الملامح متقلصة القسما ت لا تكاد تبين ، الأمر الذى لا يتسق وكونها المرتكز والمنطلق لأية دراسة عن أى شاعر خاصة إذا ما كان فى حجم أبى الطيب المتنبي .

ويوضح عنوان الدراسة الأغراض التي تدخل في محيطه وتندرج في إطاره وهي ثقافة هذا الشاعر الذي تلقف النقاد أدبه في القديم والحديث على السواء ولم يكن طريقنا في هذه الدراسة سهلاً لأسباب - أو عناصر - ثلاث، نوجزها في :

١. وجود ذلك الكم الهائل من الدراسات التي تناولت الشاعر بأكثر من منظور وأكثر من مزاج، وطبقاً لمناهج مختلفة .

٢. أن ما نحتاجه مغمور في ثنايا هذه الدراسات والآراء ، أو في بطون اللغة والأدب .

٣. بعيداً عن ذلك ، فإنه يمكن التعرف على ثقافة المتنبي من خلال أشعاره وحدها ، إلا أن إغفال وجهات النظر النقدية في هذا الشعر قديماً وحديثاً - هو في حقيقته إسقاط لا يصح ولا يجوز لجهد فكري وإنساني استمر طوال ألف عام .

وكان لا بد من محاولة التوفيق بين العناصر الثلاثة ، وبحيث لا يطغى عنصر على عنصر .

وقد قسمنا الدراسة إلى ثمانية فصول وخاتمة سريعة في الفصل الأول عرضنا بلمحة سريعة "ماهية الثقافة وتعريفها على المستوى الأنثربولوجي والأنساني" ثم تحدثنا عن نشأة المتنبي وثقافته في الفصل الثاني ؛ وفي الفصل الثالث تحدثنا عن التجديد عند المتنبي ، ثم كان الفصل الرابع عن ألفاظ المتنبي ومعانيه ... بعد مرور

سريع على ما أثاره الأقدمون من أفضلية اللفظ أو المعنى .. وأتبعنا ذلك بجزئية عن تجديده وابتكاره في مطالعه٠ وحسن تخلصه ، وأيضاً شعره الملحمي والرمزي وكان لا بد من أن نفرد الفصل الخامس لتأثر الشاعر بالفلسفة اليونانية وانعكاس ذلك على شعره .

وبالدرجة نفسها من الأهمية كان لا بد من الحديث عن أثر مصر في شعر المتنبي والذي أفردنا له الفصل السادس .

وبالطبع ، لا يمكن الحديث عن شاعر بحجم أبي الطيب دون أن نشير إلى ما قيل عن سرقاته الأدبية ، والذي أفردنا له الفصل السابع .

اما الفصل الثامن فقد تحدثنا فيه عن العاطفة الدينية عند الشاعر، والتي تعد جزءاً مهماً من ثقافته . وذلك بالطبع إضافة إلى ما أثير حول الشاعر من اعتناقه مذهب القرامطة.

* * *

وتجدر الإشارة هنا إلى عدة مراجع قيمة كان لها أبعد الأثر في إثراء هذه الدراسة كما نطمح ، منها : "المتنبي بين ناقديه " ، وهي رسالة جامعية رصينة تناقش بشكل علمي وتتبع شامل دقيق كل الدراسات التي تحامل فيها أصحابها على الشاعر .

كذلك "كافوريات أبي الطيب" ، وهي دراسة نصية جادة وعميقة عن أشعار المتنبي في مصر . وأيضاً "الحكمة في شعر المتنبي " ، و" مع المتنبي " ، ثم ذلك العدد الخاص عن الشاعر من مجلة (المورد) وغيرها .

فى النهاية ...

أرجو أن أكون قد وفقت إلى خدمة هذه الدراسة وخروجه بالصورة المأمولة
فإن أصبت فبعون من الله وتوفيقه ، وإلا فأمل التماس العذر ، فالولوج إلى ساحة
مثل ذلك الشاعر محفوف بالمخاطر والأشواق ..ويكفى شرف المحاولة ...

فامروق حسان

عضو اتحاد الكتاب

سوهاج - ٢٠٠٣